

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القائل " ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم "(1)، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين . أما بعد

تعد الدراسات الإسلامية في علم التفسير من أهم الدراسات الشرعية ، وتأتي هذه الأهمية من كون ان المصدر التشريعي الأول لها هو القرآن الكريم لما احتواه من أحداث ومسائل وأحكام تكشف المنهج الرباني في معالجة تلك القضايا ، ومن هنا يشعر دارسو الفكر الإسلامي وهم يمارسون الدور التوجيهي والتنقيفي بالحاجة الكبيرة إلى الدراسات الإسلامية الموضوعية التي تعالج قضايا الحياة من موقع المفهوم الإسلامي الشامل لأنهم يواجهون الفراغ الكبير للحلول الإسلامية أمام الكثير من المشكلات التي تفرض نفسها على الساحة سواء في الداخل عندما يضع البعض علامات استفهام في أكثر من قضية أو في الخارج عندما يقف اعداء الإسلام يشيرون في وجه الدارسين الشبهات والاتهامات والأفكار السلبية التي يقصدون منها إثارة الضبابية في التصور الإسلامي للحياة .

ومن اجل الوقوف على جوهر العلاقة بين القرآن وخصوم الرسالات السماوية وكيفية التعامل معهم في ضوء المنهج الالهي آثرت ان يكون عنوان موضوعي بـ (الموقف القرآني من التعامل مع الخصوم) .

ربما يرمي العنوان الذي وضعته للبحث بأني في مجال بحث مادي يتناول الجوانب المتعلقة بالصراع والقتال وغير ذلك من المفاهيم التي تتحرك في اطار السلام والحرب ، ولكنني انظر إلى التعامل مع الخصوم قضية عامة تتناول كل الجوانب التي تسهم في تكامل الوجود الإسلامي وثباته وقدرته على البقاء والاستمرار والتواصل مع البشرية لأن القوة المادية لا تمثل شيئاً كبيراً في ربح المعركة اذا لم تسندها القوة الروحية .

(1) سورة فصلت : ٣٤ .

لم يكن غرضي من اختيار هذا الموضوع في التفسير الموضوعي ان أزيد إلى المكتبة القرآنية كتاباً تفسيرياً جديداً فأنا لست من فرسان هذا المجال وإنما الذي دفعني هي جملة أمور منها :

ازدياد عمق الشعور بالحاجة إلى مثل هذا البحث خاصةً بعد أحداث الحادي عشر من ايلول عام ٢٠٠١ وما صاحبها من هجمة صليبية اعادت المقولة القديمة بان الإسلام انتشر بالسيف بثوب جديد اسمه (الإرهاب)، وان الدين الإسلامي دين قتل وسفك دماء وبربرية لا حد لها .

ومنها للرد على مروجي الفكرة القائلة ، ان الدين الإسلامي لا يتحمل المناقشة ولا يشجع على الحوار ولا يعترف بالانفتاح الواعي على أفكار الآخرين ، الأمر الذي استغله الآخرون الذين يحملون أفكاراً معادية للدين ، فعملوا على الإيحاء إلى الأجيال الطالعة بان الإيمان الأعمى سبيل الدين إلى الحياة فأردت ان أبين الطريقة العلمية التي استعملها القرآن مع خصومه ، وكيفية الرد عليهم في موضوعات مختلفة ، عقائدية ، اجتماعية ، سياسية ٠٠٠٠ الخ قبل ان يعرف العالم المتحضر قانون التعامل مع الآخرين والذي أسموه بـ (القانون الدولي) قبل قرون عديدة .

ومنها عزل بعض أحكام القرآن بحجة عدم مواكبتها للعصر والتطور ومن هنا فقد قمت بجمع الآيات المترابطة في بيان شبه الخصوم ومزاعمهم ومناقشتها فضمنت بعضها إلى بعض كي ترفع من إجمال كل بما في الأخرى من بيان وتفصيل ولتكمل من قصور كل بما في الأخرى من تمام وكمال ثم صيبتها في قالب دراسة موضوعية شاملة ، فاذا اكتمل واستوفى أهدافه اردفته بسائر الدلائل والمسائل تنميماً للفائدة .

وهكذا نجد في الدراسة الموضوعية للقرآن الرد الحاسم على تلك الفكرة المشوهة للدين الإسلامي والتي تصرخ بوجه الخصوم لتعلن ان القرآن انطلق من اعتبار العقل أساس من أسس المعرفة ، واعتبار الحجة هي الأساس للإيمان بالحقيقة ، فلم يترك جزئية مع خصومه إلا وناقشها ، وكما اجمل ذلك الامام الغزالي

بقوله "وعلى الجملة فالقرآن من أوله إلى آخره محاجة مع الكفار" ^(١) فالمواقف القرآنية بما فيها من أساليب اقناعية متنوعة كفيلة بان تعالج الأمراض التي سيطرت على عقول الخصوم وان تردهم إلى صوابهم ورشدهم ولبعث السكينة في قلوبهم ان أرادوا ذلك .

لقد حاولت ان أثير موضوعاً مستقلاً لأنني لم أجد في حدود قراءتي كتاب يعالج شبهات خصوم القرآن ومزاعمهم بشكل موضوعي ، بل ما وجدته بعض الأبحاث المتناثرة في هذا الموضوع ، فإن ما قدمته في هذه الدراسة ليس إلا إسهماً متواضعاً وجهداً بذلته في هذا الموضوع القرآني الذي بات يهم البشرية كلها كي تعي حقيقة الخطاب القرآني الموجه للخصوم، ان التعرف على مواقف القرآن مع خصومه عمل ضروري يحتاجه المسلم المعاصر سواء أكان فرداً ام جماعات حتى يكون التحرك الإسلامي مثمراً وقادراً على كسب المسالم منهم ورد شر المحارب وبالتالي يمنح المسلم المعاصر القدرة على الإبداع والابتكار في اعتماده الأساليب المناسبة مع خصمه بروح عصرية قادرة على حل مشكلاته ضمن الأوعية الشرعية التي جاء بها القرآن الكريم .

وقد اقتضت طبيعة البحث ان يجيء مكوناً من بايين بستة فصول يتقدمها المقدمة والتمهيد وتتأخر عنهما خاتمة البحث .

فقد اشتمل التمهيد على بيان معاني مصطلحات البحث من الناحية اللغوية والاصطلاحية ثم شرعت في الباب الأول - أهداف المواقف القرآنية وسماتها وأهدافها وموقف القرآن مع الخصومات العقديّة (الإلهيات والنبوات) وجعلته في ثلاثة فصول هي : الفصل الاول - أهداف القرآن الكريم من اتخاذ المواقف وأسباب المواقف القرآنية وسماتها وأساليبها ، وقسمته على أربعة مباحث هي : المبحث الأول : أهداف القرآن الكريم من اتخاذ المواقف وجعلته في ستة مطالب أجملت فيها تلك الأهداف .

(١) احياء علوم الدين ، للأمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (٥٠٥ هـ) مؤسسة الحلبي

المبحث الثاني : ذكرت فيه أسباب اتخاذ الموقف القرآني ضد خصومه .
اما المبحث الثالث فقد تضمنته سمات الموقف القرآني ضد خصومه .
وفي المبحث الرابع جاءت الأساليب القرآنية في اتخاذ الموقف ضد خصومه وجعلته
في ثلاثة أقسام - القسم الأول : الأساليب اللفظية ، والثاني : الأساليب العقلية ، اما
القسم الثالث فقد اشتمل على الأساليب العملية .
الفصل الثاني - موقف القرآن الكريم من الخصومات العقدية (الالهيات) ، وجعلته
في مبحثين هما :

المبحث الأول : موقف القرآن من اهل الإلحاد وكان بمطلبين - الأول : أسلوب
القرآن في إثبات وجود الله تعالى ، والمطلب الثاني : إثبات وجود الله بطريق
القطرة وأساليبها في إثبات وجوده تعالى .

اما المبحث الثاني : فهو الموقف القرآني في الرد على اهل الشرك وكان
بمطلبين الأول : منهج القرآن في اثبات التوحيد للخالق ، والثاني الرد على مظاهر
الشرك

الفصل الثالث - موقف القرآن الكريم من خصومات الأنبياء والرسل (عليهم السلام)
وجاء بمبحثين ، المبحث الأول : جعلته بمطلبين :

المطلب الأول : معنى النبوة والرسالة والفرق بينهما والحاجة إلى دعوة الأنبياء
والرسل وأهميتها ، اما المطلب الثاني : فكان خصائص الأنبياء والرسل
(عليهم السلام) ، اما المبحث الثاني فهو عن شبهات خصوم الأنبياء والرسل
وموقف القرآن منها ويتضمن سبعة فروع وهي : التكذيب ، الاعراض ،
الجنون ، السحر ، الاستهزاء ، الضلال ، البشرية)

الباب الثاني : موقف القرآن الكريم من خصومات القرآن واليوم الآخر وخصومات
اهل الكتاب والخصومات الحربية ، وجعلته في ثلاثة فصول وهي :

الفصل الأول : موقف القرآن الكريم من خصوم القرآن واليوم الآخر وجعلته في
مبحثين : المبحث الأول : وجاء في مطلبين - الأول : بيان معنى القرآن والشبهات

التي أثارها خصومه ، والثاني : موقف القرآن من تلك الشبهات بالأساليب القرآنية:
الأسلوب الأول : التحدي والثاني : الطريقة العقلية التحليلية .

اما المبحث الثاني فجاء في أربعة مطالب وهي :

المطلب الاول : معنى اليوم الاخر ومسمياته وعقيدته في الملل والشرائع السابقة.

المطلب الثاني : أدلة وجوب اليوم الآخر وضرورته .

المطلب الثالث : أسباب إنكار اليوم الآخر وشبهات المنكرين له .

المطلب الرابع : موقف القرآن من تلك الشبهات والرد عليها .

الفصل الثاني : خصومات اهل الكتاب ، وجعلته في ثلاثة مباحث وهي :

المبحث الأول وجاء بثلاثة مطالب :

الأول : في المراد بأهل الكتاب .والثاني : موقف القرآن من اهل الكتاب وكان احد عشر موقفاً وهي : الأدلة التي تؤيد نبوة محمد (ﷺ) ، الدعوة إلى مواطن اللقاء المشترك بين الشرائع السماوية ، الزامهم الحجة على صدق دعوى النبي (ﷺ) من خلال كتبهم ، غلو أهل الكتاب في دينهم ، ودعاوى أهل الكتاب المزيفة بالانتساب إلى الحنيفية ، بطلان عقيدة أهل الكتاب ، تعصب أهل الكتاب ، تكذيب أهل الكتاب بعضهم البعض ، تفاوت أهل الكتاب في عدائهم للإسلام ، البغي والحسد أساس امتناع أهل الكتاب عن دخولهم الإسلام ، ومعايير الصدق والإيمان عند أهل الكتاب .

المطلب الثالث كيفية مواجهة القرآن مزاعم أهل الكتاب وادعاءاتهم وهي :

المجادلة بالحسنى ، قبول الجزية منهم دون غيرهم ، معاملتهم بحسن الخلق

وان ظهر خلافه .

المبحث الثاني : موقف القرآن الكريم من خصومة اليهود ، وجعلته في أربعة مطالب

وهي :

المطلب الأول : سبب تسمية اليهود ، والثاني : مساوئ اليهود كما صورها القرآن

وجاء في خمسة فروع : الفرع الاول :ترك العمل بالتوراة والثاني : نقضهم العهود ،

والثالث : عداوتهم لبعض الملائكة والرابع : قتلهم الأنبياء ومحاولتهم قتل النبي (ﷺ) والخامس : حبههم وحرصهم على الحياة .

المطلب الثالث : موقف القرآن من مواقف اليهود الحجاجية الزائفة وجاء بأربعة فروع وهي : الفرع الأول : موقفهم من عيسى (عليه السلام) والثاني موقفهم من النسخ والثالث موقفهم من تحويل القبلة والرابع محاجبتهم الرسول بالأسئلة التعجيزية .
المطلب الرابع : زعمهم أنهم شعب الله المختار وجاء بفرعين : الأول : أسس ادعاء اليهود أنهم شعب الله المختار ، والثاني : مظاهر ادعاء اليهود أنهم شعب الله المختار والرد عليها .

اما المبحث الثالث فكان عن موقف القرآن من خصومات النصارى وجعلته بخمسة مطالب : الاول : في معنى النصارى وموقف القرآن من تحريفهم للأناجيل .
والثاني : الوهية المسيح وموقف القرآن منها . والثالث : عقيدة الصلب والفداء وموقف القرآن منها . والرابع : قضية التثليث وموقف القرآن منها والخامس : الرهينة عند النصارى وموقف القرآن منها .

الفصل الثالث :موقف القرآن من الخصومات الحربية ، وجعلته في اربعة مباحث المبحث الاول : لماذا شرعت الحرب ؟ والثاني : بواعث القتال في القرآن وجاء بأربعة فروع هي : الاول : القتال في سبيل الله ، والثاني : حماية العقيدة ودفع وقوع الفتنة ، والثالث : الانتصار للمظلومين والمضطهدين من أتباع العقيدة ، والرابع : القتال الوقائي ممن ينقضون العهد .

المبحث الثالث : اداب الحرب وجاء بأربعة فروع هي :
الاول : الأمنون في الحرب ، الثاني : تمالك النفس ومنع الأعمال الوحشية والثالث : الاستعداد والتهيؤ للحرب ، والرابع : المعاملة الحسنى لأسرى الحرب المبحث الرابع : موقف القرآن من الخصومات الحربية مع أهل الكتاب والكافرين

اما الخاتمة فقد أجملت ما حاولت الوصول إلى بيانه في فصول البحث متضمنة أهم النتائج التي توصلت إليها .

لقد بذلت من الجهد ما وفقني الله اليه - فله الشكر والمنة - وحاولت جاهداً دراسة الموضوع دراسة ينفع الله بها قارئيه ولعلها تكون إضافة ايجابية لما كتب ويكتب الآن في الساحة العلمية بما يخدم القرآن والمسلمين واني اعترف بأني قد فاتني الشيء الكثير مما نسيته أو قصرت طاقتي عن الوصول اليه ، ومهما يكن من تشعب الرحلة التي قضيتها على صفحات هذا البحث فهي نقله يسيره بالقياس إلى الرحلة الإنسانية الكبرى في القرآن الكريم ، ولعل ما بقي منها إضعاف ما سلف لأن السعي إلى الحقيقة الأبدية لا يزال سعيًا موصولاً في كل جيل وحسبي انه جهد بشري .

وختاماً أتوجه إلى رئيس لجنة المناقشة وأعضائها الفضلاء ان يأخذوا بيدي نحو معرفة أخطائي وعثراتي وان تكون هذه الاطروحة لبنة متواضعة في صرح الدراسات القرآنية ، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على اشرف الخلق أجمعين محمد وآله وصحبه أجمعين .